أن تقتل طائرًا بريئًا

(تعبير للمأمور هيك تيت)

مـــشاعـــر السلطة التنفيذية الحـــكيمـــة

أن نعيش ونرى من حولنا على أنهم طيور ... طيور باختلاف أنواعها وفصائلها وظروفها، منهم من لا يغرد بل يخرب ومنهم من يغرد من داخل قفصه ومنهم من يغرد من محيط حريته.

- طائر مغرد من قفص العنصرية

(توم روبنسون) بمساعداته المستمرة الدائمة لـــ (ماييلا) دون النظر لمردود تلك المساعدات أو حتى استغلالها أو طلب مقابل مادي على الأقل فهو الأدنى الزنجي الذي يمثل دور الخادم في المجتمع (حين يشار إلى العجوز فيهم يقال له Boy ولد)، ورفضه حين طلبت منه مساعدتها بشيء هو يعلم أنه يشينها قبل أن يعيبه حتى أصبح رد معروفه اتهامه لشرفه (غير المعترف به) وهو يفعل ذلك كمن يلقي بمعروفه البحر ...!؟ ولا يدرك رابطه بمعروفه فيسقط معه في بحر من ظلمات الظلم دون استضاحة سابق معروفه.

- طائر مغرد من قفص الحجر

(آرثر بو) محبته لهم واستمتاعه بحريتهم المطلقة ومجاملاته للأخوين الصغيرين اللذان هما له بدرجة الإخوة الصغار والسعي لإهدائهما هدايا لم يستطع أن يسلمها يدا بيد نظراً لظرف حجر والده عليه فحتى ولو كانت هداياه غير مؤكدة المصدر فشعوره باهتمامهم به وتريثهما في الحكم عليه لعدم معرفتهم به شخصياً، نهاية بإنقاذه لهم

وتوريط نفسه بالخروج من محبسه أولاً والدفاع عنهم ما ينتج عنه حالة قتل لم يكن عازماً أو عاقدا نية عليها ولكنه بمجرد استنجاد الأولاد بالصوت وبحساسية مفرطة قرر الخروج للنجدة وهذه ما كان عاقداً النية عليها ... النجدة والمساعدة.

- طائر مغرد من محيط حريته

أتيكوس فينش الطائر الذي درس قانون الحياة وعرف معنى المساواة والعدل حتى أنه لم يظلم إلا نفسه بعدم زواجه بعد وفاة والدة جيم وسكاوت وتفرغ لكل من حوله ليغرد لجيرانه وعملائه حتى أعدائه. أتيكوس الذي لا يدخر جهداً لتعليم أولاده ورفع التكليف بينهم فهم ينادونه باسمه أغلب الوقت وعدم ممارسته القهر النابع من مسئولية الأبوة (كوالد آرثر) مروراً بتعاطفه (تغريده) لرفع معنويات عملائه (باجتناب مقابلتهم لعدم إحراجهم) وتبديل أتعابه بمقايضتهم بما ينتجون والسهر على صالحهم والتصدي لما يهددهم وإن كان خارج مسئولياته (توم)، حتى خادمته حين تتأخر يوجب على نفسه أن يوصلها وحين يحتاج منها المبيت يطلبه طلباً اختيارياً لا يأمرها، نهاية بصبره الذي أعده تغريداً أيضاً مع من يعادونه (الطيور المخربة) وتحمله لصفاقتهم وموقفه المحايد لأنه يدرك تماماً أنه ليس على خطأ فهو لا يخاف وبشجاعته تلك يرهب من يجرؤ عليه فلا يتمادى في ذلك وهو القائل لابنه "إن حمل بندقية هو دعوة لغيرك كي يطلقوا النار عليك" وهو يعلم أنهم يفعلون ذلك لأنه فعل ما لا يعجبهم ولكنه لم يعاديهم.

- طائران مغردان صغيران

بقى أن أذكر الصديقان الصغيران المؤَّرث فيهما التغريد لكل من حولهم ولبعضهم البعض وفى شخصياتهما الكثير الذي لا يختلط علينا وبراءة الأطفال التي نعهدها فيهم لأن تغريدهم قد امتد من حرص كل منهم على الآخر إلى من حولهم.

أخيراً إن كنت قد استمتعت بالرواية والفيلم كثيرا، إلا أن ما أرهقني في استيعابه هو ذلك العنوان المعبر نعم والمحير جداً في تحديد مصدره أهو للكاتب أم لأحد أشخاص الرواية.

أُفرد هنا مساحة لذلك الطائر المغرد من محيط حريته فمع انفراد أتيكوس بالحكمة والقانونية حتى صار تطبيقها أخلاقياً على مستوى مجتمعه كاملاً، وبراءة سكاوت التي كنت أرى بسببها لونا ورديا صافياً ونشاط وجرأة جيم وبساطة ورقى الخادمة إلا أن أصغر دور في الفيلم هو للمأمور هيك تيت .

- مغرد من محيط حريته

المأمور تيت حجر زاوية قيادة المجتمع، فالقانون يمثله أتيكوس في الدفاع والقاضي الذي ينظم ويحكم بناءً على رؤية وحيادية المحلفين يكتمل بعنصر ضابط الواقعة الذي يعد نظرياً أقل دور حيث أنه يسعى لتقديم المتهم ويعمل على التحفظ عليه أثناء فترة المحاكمة وتنفيذ الحكم الذي يراه المحلفين ويحكم به القاضى في النهاية وأراه بطل الرواية هو من نستطيع أن نسمع منه تلك المقولة الرهيبة "أن تقتل طائراً مغردا أو بريئًا" هو من قتله نعم حجر الزاوية قتله في سعيه لأداء عمله وهو نقله لمكان آخر غير الذى حجز فيه أول مرة ليحافظ على حياته ممن أرادوا أن ينتقموا منه وكل من رأى تيت في نهاية الفيلم فقد لمح حزن الدموع في عينه حين تذكره وقال لأتيكاس "هناك رجل أسود ميت بلا ذنب" وكأنه يلوم نفسه ويدرج انتقاماً لتوم حين يقول "دع الميت يدفن الميت" إلا إذا كان يقصد بالميت

الأول نفسه بعد قتله لتوم وذلك نصف الهدف أما النصف الآخر فهو إعفاء آرثر من الظهور لأنه رأى ظلام اليأس قد أطبق على روح طائر بريء فيأخذ شمعة العدل ويشعلها وكأنه يدركه قبل أن يطبق عليه ظلام الظلم مرة أخرى السابق تجربته ويتعامل مع روح القانون لا نصه ويحدث أتيكوس ويقول " إن أخذ رجل وسحبه بالطرق المتحفظة إلى الأضواء الساطعة ... هو بالتأكيد خطية" ويبرر لأتيكوس براءته حين يقول "لم أسمع من قبل أنه ضد القانون أن يبذل شخص أقصى ما في جهده ليمنع جريمة من الحدوث" هاهو يدرك تغريد آرثر بتخليصه لهم من مؤذٍ كبير.

يا هيك أنت من كنت أبحث عنك طول الرواية الجميلة وجعلتني أراها مرة وأبحثها ثلاث مرات بحثاً عنك أتذكر حِجَّته عند تنازله عن التصويب على الكلب المجنون (المسعور) وتقديم أتيكوس لها، هو إذنً إنسان لا يقع في خطأ مرتين.

أخيراً كل الشكر للكاتبة العظيمة التي تعايشت مع العالم الجميل وتعبيرها لنا عنه وأعطتنا معنى أن نغرد.